في قصة موسى إعراض عن كل شبهة أوردها فرعون

الأساليب القرآنية كانت الركيزة الأساسية في مجادلة النبي للمشركين

من الأساليب التي رد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجج المعاندين أسلوب الإمرار والإبطال وهو أسلوب قوي في إفحام المعاندين أصحاب الغرور والصلف، بإمرار أقوالهم، وعدم الاعتراض على بعض حججهم الباطلة، منعًا للجدل والنزاع خلوصًا إلى الحجة القاطعة تدمغهم وتبطل بها حجتهم تلك، فتبطل الأولى بالتبع، وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نموذج مطول لهذا الأسلوب، حيث أعرض موسى عن كل اعتراض وشبهة أوردها فرعون، ومضى إلى إبطال دعوى الألوهية لفرعون من خلال إقامة الحجة العقلية الظاهرة على ربوبية الله والوهية الله، وذلك في الآيات من سورة الشعراء قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [الشعراء: 23-29].

وهكذا كانت الأساليب القرآنية الكريمة، هي الركيزة في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين، ولما احتار المشركون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا على استعداد في تصديقه أنه رسول من عند الله، ليس لأنهم يكذبونه، وإنما عنادًا وكفرًا، كما قال تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

لذلك هداهم تفكيرهم المعوج أن يطلبوا من الرسول عليه السلام مطالب، ليس الغرض منها التأكد من صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن غرضهم منها التعنت والتعجيز، وهذا ما طلبوه من الرسول عليه الصلاة والسلام:

أ- أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا: أي يجري لهم الماء عيوناً جارية.

ب- أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أي تكون له حديقة فيها النخل والعنب، والأنهار تتفجر بداخلها.

ج- أو يسقط السماء كسفا: أي يسقط السماء قطعًا كما سيكون يوم القيامة.

د- أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً.

هـ- أو يكون له بيت من زخرف: أي ذهب.

و- أو يرقى في السماء: أي يتخذ سلمًا يرتقي عليه ويصعد إلى السماء.

ز- إنزال كتاب من السماء يقرؤونه، يقول مجاهد: أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة،هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان تصبح موضوعة عند رأسه().

ح- ليوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم فيسير لهم الجبال، ويقطع الأرض، ويبعث من مضى من آبائهم من الموتى().

إن عملية طلب الخوارق والمعجزات هي خطة متبعة على مدى تاريخ البشرية الطويل، ورغم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان قومه، وتفانيه في ذلك، لكن التربية الربانية التي تلقاها من ربه، والأدب النبوي الذي تأدب عليه، جعله يرفض طلب المعجزة وإنما كانت إجابته صلى الله عليه وسلم:

«ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما يعلني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم».

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفًا لما فاته مما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه التعنتات والرد عليها في قوله سبحانه (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)

ونزل قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ».

إن الحكمة في أنهم لم يجابوا لما طالبوا، لأنهم لم يسألوا مسترشدين وجادين، وإنما سألوا متعنتين ومستهزئين، وقد علم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما طلبوا لما آمنوا، وللجوا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون، قال سبحانه: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) [الأنعام: 109-111].

ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ما سألوا؛ لأن سنته سبحانه أنه إذا طلب قوم آيات فأجيبوا، ثم لم يؤمنوا، عذبهم عذاب الاستئصال كما فعل بعاد وثمود وقوم فرعون.

وليس أدل على أن القوم كانوا متعنتين وساخرين، ومعوقين لا جادين، من أن عندهم القرآن وهو آية من الآيات، وبينة البينات، ولذلك لما سألوا ما اقترحوا من هذه الآيات وغيرها رد عليهم سبحانه بقوله: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [العنكبوت: 50-52].

وقد ذكر عبدالله بن عباس رضي الله عنه رواية مفادها: أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ادعُ لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال فدعاه: فأتاه جبريل فقال: إن ربك -عز وجل- يقرأ عليك السلام، ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة، والرحمة، فقال: بل باب التوبة والرحمة، فأنزل الله تعالى: «وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا».

لقد كان هدف زعماء قريش من تلك المطالب، هو شن حرب إعلامية ضد الدعوة والداعية، والتآمر على الحق، كي تبتعد القبائل العربية عنه صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم يطالبون بأمور يدركون أنها ليست طبيعة هذه الدعوة؛ ولهذا أصروا عليها، بل لقد صرحوا بأن لو تحقق شيء من ذلك فلن يؤمنوا أيضا بهذه الدعوة، وهذا كله محاولة منهم لإظهار عجز الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذ ذلك ذريعة لمنع الناس عن اتباعه.

■ اقتضت الرحمة الربانية ألا يجاب المشركون إلى المعجزات لأن سنة الله إذا طلب قوم آيات ثم لم يؤمنوا عذبهم بالاستئصال

يوجه روح البشر إلى مشاهد الوجود الباهرة كي لا يمروا عليها غافلين

القرآن يوقظ الحواس بذكر آيات الكون والدعوة إلى تأملها

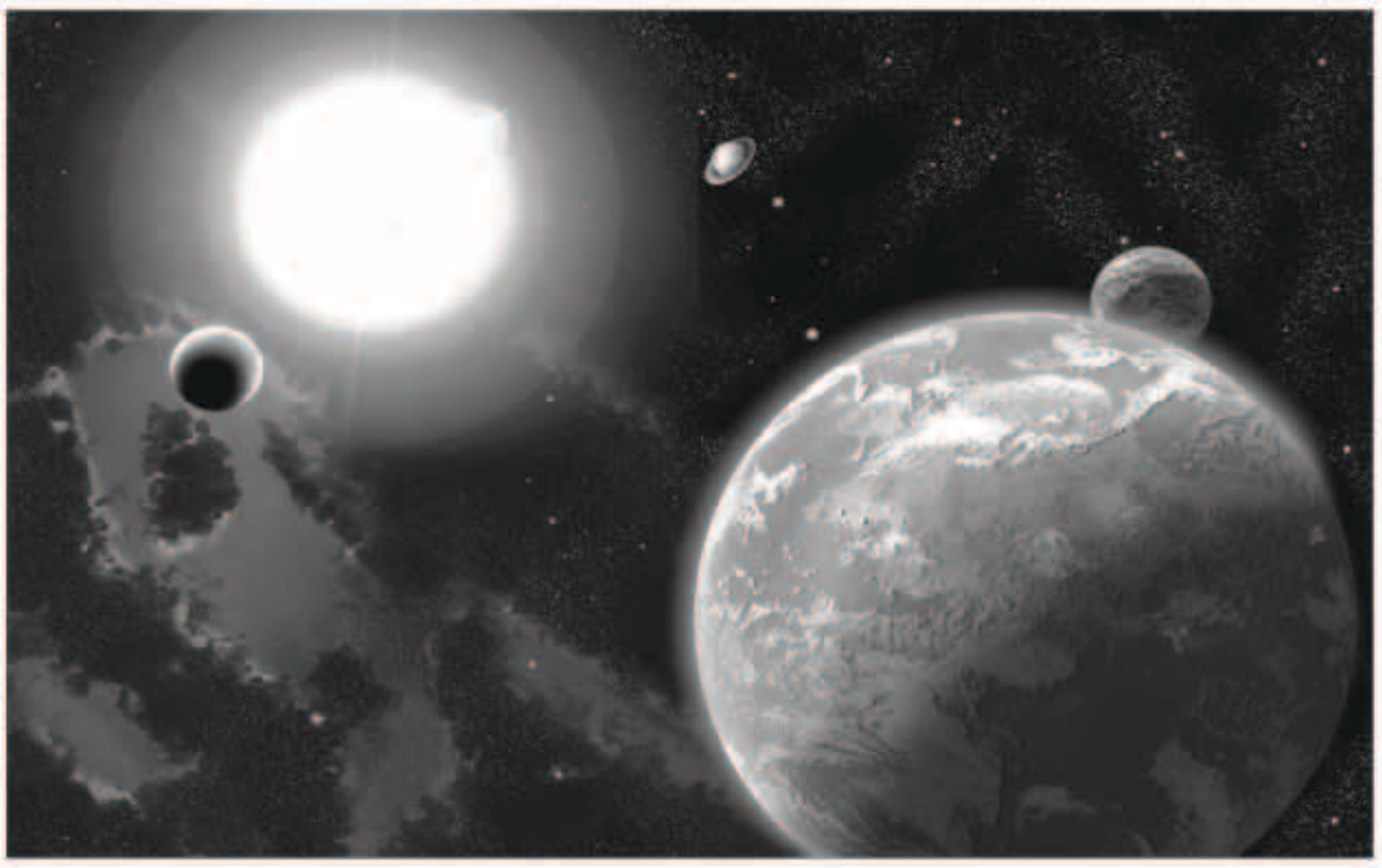

■ حقيقة عظيمة قررتها الآيات بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل دابة من ماء

■ لم تدع مجالاً للإبقاء على نظريات الصدفة وأكدت أن كل الكائنات من صنع الله

«وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» النور (45).

والتأمل في تقلب الليل والنهار بهذا النظام الذي لا يختل ولا يفتر يوقظ في القلب الحساسية وتدبر الناموس الذي يصرف هذا الكون والتأمل في صنع الله. والقرآن يوجه القلب إلى هذه المشاهد التي ذهبت الألفة بوقعها المثير، ليواجه القلب هذا الكون دائما بحس جديد، وانفعال جديد. فعجيبة الليل والنهار كم شاقت القلب البشري، وهو يتأملها أول مرة. وهي لم تتغير، ولم تفقد جمالها وروعتها. إنما القلب البشري هو الذي صدئ وهمد، فلم يعد يخفق لها. وكم ذا نفقد من حياتنا، وكم ذا نخسر من جمال هذا الوجود، حين نمر غافلين بهذه الظواهر التي شاقت حسنا وهي جديدة. أو وحسنا هو الجديد!

والقرآن يجدد حسنا الخامد، ويوقظ حواسنا الملول ويلمس قلبنا البارد ويثير وجداننا الكليل، لنرتاد هذا الكون دائما كما ارتدناه أول مرة. نقف أمام كل ظاهرة نتأملها، ونسألها عما وراءها من سر دفين، ومن سحر مكنون ونرقب يد الله تفعل فعلها في كل شيء من حولنا، ونتدبر حكمته في صنعته، ونعتبر بآياته المبثوثة في تضاعيف الوجود.

ان الله - سبحانه - يريد ان يمن علينا، بان يهبنا الوجود مرة كلما نظرنا الى احدى ظواهره، فاستعدنا نعمة الاحساس بها كأننا نراها أول مرة فنظل نجد الكون مرات لا تحصى. وكأننا في كل مرة نوهبه من جديد، ونستمتع به من جديد.

وان هذا الوجود لجميل وباهر ورائع وان فطرتنا لمتوافقة مع فطرته، مستمدة من النبع الذي يستمد منه، قائمة على ذات الناموس الذي يقوم عليه. فالاتصال بضمير هذا الوجود يهبنا انسا وطمأنينة، وصلة ومعرفة، وفرحة كفرحة اللقاء بالقريب الغائب او المحجوب!

وانما لنجد نور الله هناك فالله نور السماوات والأرض نجده في الآفاق وفي انفسنا في ذات اللحظة التي نشهد فيها هذا الوجود بالحس البصير، والقلب المتفتح، والتأمل الواصل الى حقيقة التدبير.

لهذا يوقظنا القرآن المرة بعد المرة، ويوجه حسنا وروحنا الى شتى مشاهد الوجود الباهرة، كي لا نمر عليها غافلين مغمضي الأعين، فنخرج من رحلة الحياة على ظهر هذه الأرض بغير رصيد، او برصيد قليل هزيل.

إعجاز الله في الكون

ويمضي السياق في عرض مشاهد الكون، واستثارة تطلعنا اليها، فيعرض نشأة الحياة، من أصل واحد، وطبيعة واحدة، ثم تنوعها، مع وحدة النشأة والطبيعة:

«والله خلق كل دابة من ماء. فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير»

وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء، قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعا، وهو الماء، وقد تعني ما يحاول العلم الحديث ان يثبته من أن الحياة خرجت من البحر ونشأت أصلا في الماء. ثم تنوعت الأنواع، وتفرعت الأجناس.

ولكننا نحن على طريقتنا في عدم تعليق الحقائق القرآنية الثابتة على النظريات العلمية القابلة للتعديل والتبديل.. لا نزيد على هذه الإشارة شيئا مكتفين بإثبات الحقيقة القرآنية، وهي أن الله خلق الأحياء كلها من الماء فهي ذات أصل واحد. ثم هي - كما ترى العين - متنوعة الأشكال منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الانسان والطير يمشي على قدمين ومنها الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن فلتة ولا مصادفة: يخلق الله ما يشاء غير مقيد بشكل ولا هيئة فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون.

«لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (46) ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين» النور (47)

قد اقتضتها مشيئته الطليقة وارتضتها: «ان الله على كل شيء قدير».

وان تعلى الأحياء وهي بهذا التنوع في الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع، والشيات والألوان. وهي خارجة من أصل واحد، ليوحي بالتدبير المقصود، والمشيئة العامدة. وينفي فكرة الفلتة والمصادفة. والا فأي فلتة تلك التي تتضمن كل هذا التدبير، وأية مصادفة تلك التي تتضمن كل هذا التقدير؟ انما هو صنع الله العزيز الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

هناك ارتباط مؤكد بين ثقة المرء بنفسه وحلمه مع الآخرين

الغضب جمرة في قلب ابن آدم

■ النبي كان يُستغضَب أحياناً غير أن المحفوظ من سيرته أنه لم ينتقم لنفسه قط

■ خير الناس بطيء الغضب سريع العودة وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء

تتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات فمنهم من تستخفه النوافه فيستحمق على عجل ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكرة وسماحة خلقه ومع أن للطباع الأصيلة في النفس دخلا كبيرا في أنصبة الناس من الحدة والهدوء، والعجلة والأناة، والكدر والنقاء، الا ان هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين، وتجاوزه عن خطئهم، فالرجل العظيم حقا كلما حقق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم! فاذا عدا عليه غرّ يريد تجريحه، نظر اليه من قمته كما تنظر الفيلسوف الى صبيان يعبثون في الطريق وقد يرمونه بالأحجار.

وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون، عندما تقتحم عليهم نفوسهم، ويرون أنهم حقروا تحقيرا لا يعالجه الا سفك الدم أفلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد؟ كلا. ان الاهانات تسقط على قاذفها قبل أن تصل الى مرماها البعيد وهذا المعنى يفسر لنا حلم هود وهو يستمع الى اجابة قومه بعدما دعاهم الى توحيد الله.

قالوا: «انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين، قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين». ان شتائم هؤلاء الجهال لم يطش لها حلم هود، لأن الشقة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رسولا فهو في الذؤابة من الخير والبر، وبين قوم سفهوا أنفسهم وتهاووا على عبادة الأحجار يحسبونها لغبائهم تضر وتنفع! كيف يضيق العلم الكبير بهرف هذه القطعان؟

وقد أراد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه هذا الدرس في الأناة وضبط النفس، فروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه ثم قال له: أحسنت اليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت! فغضب المسلمون وقاموا اليه، فأشار اليهم أن كفوا..ثم قام ودخل منزله، فأرسل اليه وزاده شيئا، ثم قال له: أحسنت اليك؟ قال نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي: انك قلت ما قلت آنفا، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك! قال: نعم فلما كان الغد جاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ان هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال رسول الله «مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فاني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض، فردها حتى جاءت! واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النار». ان الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابي أول الأمر، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة في التعبير والاسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم، ولما كانت ظلما.

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة الى هذا الختام الأليم، انهم يفيضون من أناتهم على ذوي النزق حتى يلجئوهم الى الخير الجاء، ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء ولمن ذلك لا يضن به الواجد الأريب، ولو كان عطاء سخيا، فما بذل المال الى جانب ملك الأنفس؟ ان الأعرابي الذي اشترى رضاه بما علمت لا يبعد ان تراه بعد أيام وقد كلف بعمل خطير يقدم فيه عنقه عن طيب خاطر!

وما المال في أيدي المصلحين الكبراء الا حاجة العفاة من الوافدين الطامعين، أو هو قمام الأرض تستناخ به الرواحل الجامحة لتقتعد عليها المفازات الشاسعة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغضب أحيانا غير أنه ما يجاوز حدود التكرم والاغضاء والمحفوظ من سيرته أنه ما انتقم لنفسه قط، الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.

ولما قال له أعرابي جلف وهو يقسم الغنائم: اعدل، فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال: «ويحك فمن يعدل ان لم أعدل؟ خبت وخسرت ان لم أعدل» ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك، وخطب النبي صلى الله عليه وسلم في الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم: ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى: «ألا وان منهم البطيء الغضب سريع الفيء والسريع الغضب سريع الفيء، والبطيء الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك، الا وان منهم سريع الفيء سريع الغضب الا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء، الا وان منهم حسن القضاء حسن الطلب، ومنهم سيئ القضاء حسن الطلب، ومنهم سيئ الطلب حسن القضاء فتلك بتلك الا وان منهم سيئ القضاء سيئ الطلب، الا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، وشرهم سيئ القضاء سيئ الطلب». «الا وان الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض» أي فليلق مكانه وليجلس.

فانه اذا استطير وراء لهب الغيظ أفسد الأمور في غيبة وعيه وغلبة عاطفته فلم يدع لاصلاحها مكانا وقد شرح الحديث الشريف صنوف الخلق ومنازلتهم في الفضل، والمؤمن يضع نفسه حيث يجب.